Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوظيفة النحوية التى تشغلها الكلمة من فاعلية أو مفعولية .. إلخ ، ومن هنا نجد أن تعدد الرواية فى الشعر القديم قد يدور فى معظمه حول استخدام لفظ مرادف بدلا من آخر ، بحيث لا يُحدث تغيرا فى العلاقات النحوية ، وهذا إذا كان اللفظان متوازنين صيغةً ، ومتقاربين دلالةً ، ومتفقين علاقةً ، أما إذا اختلف أحد هذه العناصر فإننا نجد أن مجال التغيير يتسع ليشمل كلمات أخرى فى البيت حتى يؤدى إلى التوافق فى العناصر السالفة مع ملاحظة ما تتيحه الزحافات فى مجالات الاستبدال ، ومن هنا يبرز الزحاف بوصفه خاصة شعرية مهمة تحتاج لدراسة من هذه الزاوية .

ويشتد مجال الاستبدال ضيقا فى الكلمة الأخيرة من البيت – كما أشرت – وهى القافية لأنها تتطلب عنصرين إضافيين زيادة على الوزن الشعرى ، والتوازى المقطعى والاتفاق فى المجال الدلالى ، والمجال النحوى . هذان العنصران هما التكرار المقطعى الذى تفرضه الكلمة الأخيرة فى مطلع القصيدة ، وأعنى به التكرار المنتظم للحرف الأخير أو لعدد من الحروف الأخيرة فى آخر البيت ، والتماثل الحركى فى أجزاء معينة – وأعنى بها حرف الرويّ – من هذا المقطع الموحّد . ويمكن إدراج هذين النوعين تحت ما يسمى « التماثل الصوتى » مع ملاحظة أن قيد الوزن العروضى قد يكون مرنا بحيث يتحقق فى كلمة واحدة أو يتحقق فى كلمة وبعض كلمة أو يتحقق فى كلمتين .

ويهمنا هنا أن نحاول الكشف عن أثر القافية فى الجملة اعتمادا على أن دور القافية فى البيت معروف ، لأن القافية – على مستوى الجملة – « تتضمن بالضرورة علاقة دلالية بين وحداتها . وتحليلُها يؤدى إلى التعرف على الوحدات الصرفية والنحوية المكونة لها ومدى اتفاقها أو اختلافها فيما بينها ، ومهما كانت درجة استخدام الشعراء لهذه المكونات الصرفية النحوية أو ترفعهم عليها فإن جمال القافية يكمن فى تشابه الصوت واختلاف المعنى ، وليست القافية سوى نموذج